الحرب الافغانية ـ البريطانية الثانية

1878ـ1881

أ. م. د. كفاح جمعة وجر

الجامعة المستنصرية - كلية الاداب، قسم التاريخ، بغداد \ العراق

The Second Anglo-Afghan War 1878-1881

Assist. Prof. Dr. Kifah Jum'a Wijer

Al-Mustansiriyah University - College of Arts, Department of History, Baghdad / Iraq

dr.kefahj.wiger@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص

يعد التنافس البريطاني الروسي على افغانستان من اهم الاسباب التي ادت الى اندلاع الحرب الثانية،لاسيما بعد التوسع الروسي في اواسط اسيا الاسلامية واحتلالها عدد من المناطق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الامر الذي شكل تهديد بالنسبة لافغانستان فسعت بريطانيا الى مواجهته من خلال جعلها منطقة عازلة حفاظا على مصالحها في الهند، فضلا عن القلق الذي راود الامير الافغاني شير علي خان وطلب المساعدة من البريطانيين، لكنهم وضعوا شروط مقابل تزويده بالاسلحة وحماية ارضه من التوسع الروسي، تضمنت موافقته على تعيين ممثل بريطاني في كابول لمراقبة التحركات الروسية والسيطرة على العلاقات الخارجية الافغانية من خلال تعهد افغانستان بعدم اقامة علاقات مع اي قوى اجنبية سوى بريطانيا، لكنه رفض خشية ان تطالب روسيا بالمطالب نفسها، فضلا عن رفض الشعب الافغاني لوجود اجنبي على ارضه، مما ازم الموقف وادى في النهاية الى قيام الحرب، الا ان البريطانيين لم ينجحوا في تحقيق اهدافهم اذ قتل افراد البعثة البريطانية بعد اندلاع الثورات ضدهم، ولم تستطع القوة البريطانية فرض سيطرتها رغم كل الامكانيات، فاضطرت للانسحاب عام 1881 بعد تكبدها خسائر بشرية ومادية، ولم تحقق سوى سيطرتها على العلاقات الخارجية بعد تعهد الامير عبد الرحمن خان، لكنه سرعان ماتنصل من هذا الوعد واجرى اتصالات مع روسيا.

الكلمات المفتاحية: بريطانيا، افغانستان، روسيا، الحرب الافغانية الثانية، التنافس في آسيا الوسطى

Abstract

The British–Russian rivalry over Afghanistan was one of the most important causes that led to the outbreak of the Second Afghan War, particularly after the Russian expansion into Central Islamic Asia and its occupation of several regions in the second half of the nineteenth century. This posed a threat to Afghanistan, which Britain sought to counter by making it a buffer zone in order to safeguard its interests in India. Moreover, Emir Sher Ali Khan of Afghanistan grew increasingly concerned and requested assistance from the British. However, they imposed conditions in exchange for supplying him with weapons and protecting his territory from Russian expansion. These conditions included his approval of appointing a British representative in Kabul to monitor Russian movements and to take control of Afghanistan's foreign relations. He rejected this out of fear that Russia would make the same demands, in addition to the Afghan people's rejection of any foreign presence on their soil. This exacerbated the situation and ultimately led to the war in 1878. Nevertheless, the British failed to achieve their objectives, as members of the British mission were killed following the outbreak of uprisings against them. Despite their resources, British forces were unable to impose their control and were compelled to withdraw in 1881 after suffering human and material losses. Their only achievement was the control of Afghanistan's foreign relations after Emir Abdur Rahman Khan pledged to this arrangement, but he soon reneged on his promise and established contacts with Russia.

Keywords: Britain, Afghanistan, Russia, Second Anglo-Afghan War, rivalry in Central Asia

المقدمة

تظافرت عوامل عدة ادت الى قيام الحرب الافغانية البريطانية الثانية اهمها سعي بريطانيا لجعل افغانستان دولة عازلة حفاظا على مصالحها في الهند، لاسيما بعد قيام روسيا باحتلال عدد من مناطق اواسط اسيا الاسلامية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر مهددة بذلك حدود افغانستان، فسعت للحصول على موافقة شير علي خان لوجود ممثل بريطاني في كابول، ومنع الامير الافغاني من اقامة علاقات مع روسيا، لكنه رفض هذه المطالب وسعى من جانبه لابعاد بلاده عن هذا التنافس ففي حال موافقته قد تطلب روسيا تعيين مبعوث لها في كابول، فضلا عن احترامه رغبة الشعب الافغاني الرافض لوجود اي اجنبي على ارضه، ادى تازم الوضع الى قيام الحرب عام 1878.

قسم البحث على مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث وخاتمة، تطرق التمهيد الى العلاقات الافغانية البريطانية في عهد شير علي خان، اما المبحث الاول ركز على قيام الحرب، في حين تطرق المبحث الثاني الى الثورات الافغانية ضد الوجود البريطاني، وجاء امبحث الثالث بعنوان تولي عبد الرحمن للسلطة ونهاية الحرب.

التمهيد: العلاقات الافغانية البريطانية في عهد شير علي خان (1869-1878)

تولى شير علي خان (Sher Ali)[1] السلطة بصفته الوريث الشرعي بعد وفاة والده دوست محمد عام 1863 الذي عينه بالرغم من كونه اصغر ابنائه، الا ان ذلك لم يرض اخوته غير الاشقاء فاندلعت حرب اهلية[2] (حسون، د.ت، صفحة 162) بينهم سيطر

1- شير علي خان: وُلد عام 1825 في كابول، أفغانستان، أمير أفغانستان (1863 – 1879)، الابن الثالث لدوست محمد خان، تولى العرش بعد وفاة والده إلا أنه لم يُحكم قبضته على العرش إلا بعد سلسلة من الصراعات الداخلية والثورات والحروب الأهلية، شهد عهده تنافسا كبيرا بين روسيا وبريطانيا وسعى للحفاظ على أفغانستان دولة عازلة، شهد عهده قيام الحرب الافغانية البريطانية الثانية (1878-1881)، اضطر للانسحاب بعد انتصار القوات البريطانية ونصّب ابنه يعقوب خان على العرش، توفي عام 1879 في مزار شريف. ينظر: Encyclopedia Britannica Library, 2010

2- اعقب وفاة دوست محمد عام 1863 مرحلة من الاضطرابات استمرت خمس سنوات، بسبب صراع اولاده على العرش اذ اوصى والدهم بتولية شير علي وهو ابن زوجة دوست محمد المفضلة، لكن سرعان ما اعلن اخوته غير الاشقاء=

خلالها الاخوة على العرش لبعض الوقت، لكنه تمكن عام 1869 من فرض سيطرته والتخلص من منافسيه (Wahab.S, 2007, p. 86)

تجدر الاشارة الى ان بريطانيا لم تتدخل في هذه الحرب لاتباعها سياسة عدم التدخل او كما اطلق عليها السياسة المنعزلة، فضلا عن عدم مساندة روسيا المناهضة لبريطانيا في وسط اسيا لاي من الاطراف المتنازعة (العيلة، 1986، صفحة 105) الا ان انتصار شير علي في الحرب وتواصله مع الحكومة الروسية في تركستان اثار مخاوف الجانب البريطاني فتم ارسال رسالة تؤكد الاعتراف به أميرًا مع تقديم هدية قدرها 20 ألف روبية و3 آلاف بندقية (Fietchar A. , 1966, p. 125)

من جانبه سعى شير علي لاقامة علاقات ودية مع بريطانيا دون ان يثير انتباه روسيا لاسيما بعد سيطرتها على مناطق مهمة في اسيا الوسطى[1] فعقد لقاء مع نائب ملك الهند اللورد مايو(Mayo) فـي اذار عام 1869 في مدينة أمبـالا (Fraser- Tytler, 1885, p. 127) كانت اهم مطالبه تعزيز قدرته العسكرية للدفاع عن امارته، في حين طالب البريطانيون بتواجد ضباط في المدن الافغانية المهمة لمراقبة تطور الاوضاع وتزويد الهند باخر المعلومات، وان تكون مساعدتهم المالية مشروطة بموافقة مستشاري الامير دون اي وعود للوقوف معه عسكريا ضد روسيا (الطالب، 2009، صفحة 47)، الا انه رفض المطالب احتراما للرأي العام الأفغاني الذي يرفض تواجد اي اجنبي، وبذلك لم يحقق المؤتمر اهداف الامير الافغاني (Wahab.S, 2007, p. 88)

= الحرب عليه وهم محمد أفضل ومحمد أعظم اولاد وزجة دوست محمد الاولى، اذ ثار افضل بمساعدة شقيقه أعظم وبعد اندلاع الحرب مع شير علي تم التوصل الى تسوية عام 1864 لكن عبد الرحمن ابن افضل لم يكن موافق على الصلح ودبر مؤامرة لاغتيال عمه وولي العهد فقام شير علي بسجن افضل، في حين هرب ابنه الى بخارى، واجه شير علي ثورة عام 1865 قادها شقيقه محمد أمين خان حاكم قندهار ورغم نجاحه في قمعها، لكنه خسر وريثه محمد علي خان مما ادى لاصابته باكتئاب حاد واعتزل في قندهار، استغل أعظم وعبد الرحمن الفرصة للعودة إلى أفغانستان وتعبئة حلفائهما ومهاجمة كابول عام 1866 فأطلقوا سراح أفضل وجعلوه أميرًا، حفز هذا شير علي أخيرًا على جمع جيش لمواجهتهم وفي عام 1867 توفي أفضل وخلفه على الفور شقيقه الأكبر أعظم على العرش في كابول، لكن شير علي نجح في هزيمته عام 1869 فهرب الى بلاد فارس، في حين طلب عبد الرحمن اللجوء في سمرقند. ينظر: (Barfield, 2010, p. 136)

1- توسع الروس في تركستان خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد ان استولوا على طشقند عام 1865، وفي العام التالي استولوا على بخارى، كما احتلوا سمرقند وضموها في عام 1868. ينظر: (Balance, 1993, p. 34)

اثار الاحتلال الروسي لخيوه عام 1873 مخاوف شير علي من استمرار توسع روسيا نحو اراضيه فطلب الحماية من بريطانيا وبالفعل عقد مؤتمر في سميلا (Simla) في العام نفسه طالب خلاله الممثل الافغاني حكومة الهند بضرورة مساعدتها ماديا ومعنويا في حال تعرضها لاي عدوان روسي على اراضيها (Stewart, 2011, p. 140) لكن البريطانيين رفضوا الالتزام نحو افغانستان، وعرضوا تقديم كمية محدودة من السلاح مقابل بقاء قوات بريطانية في افغانستان، الامر الذي ادى الى تدهور العلاقات بين الطرفين (Coloner G. B Malleson, 1879, p. 444) (العيلة، 1986، صفحة 108)

اتخذت العلاقات الافغانية البريطانية شكلا مختلفا منذ عام 1874 بعد تغير الوزارة في لندن اذ نظر رئيس الوزراء بنيامين دزرائيلي (Benjamin Disraeli) إلى التقدم الروسي في آسيا الوسطى بقلق اكثر من سابقيه، فضلا عن القلق الذي انتاب وزير الدولة الجديد للهند اللورد سالزبوري(Salisbury) بشأن النفوذ الروسي في أفغانستان فقام بتعيين اللورد إدوارد روبرت ليتون (Robert Lytton (Edward) [1] نائباً للملك في الهند وأمره بإبعاد شير علي عن النفوذ الروسي (Fremont–Barnes, 2009, p. 51)
(Gankovsk y, 1985 , p. 153)

من الجدير بالذكر ان شير علي خان كان على تواصل مع الروس من خلال رسائل الجنرال فون كوفمان (Von Kaufman)، لكنه سعى قدر الامكان الى ابقائهم على مسافة بعيدة منه، الامر الذي ازعج البريطانيون فاحتجوا على ذلك (Gregorian, 1969, p. 113)
(Coloner G. B Malleson, 1879, p. 448)

ردا على ذلك اعلن اللورد لايتون صراحة بانه سوف يمنع الامير الافغاني من ان يكون اداة طيعة بيد روسيا، وايدته حكومة لندن اذ كانت تنظر لافغانستان بانها تشكل خطرا على مصالحها في الهند، فطلبت منه ارسال بعثة الى كابول وبالفعل اعد بعثة برئاسة بولاك (Bulak) عام 1876 (الطالب، 2009، صفحة 48)

1- ليتون: دبلوماسي بريطاني ونائب ملك الهند (1876–1880)، وُلِد في الثامن من تشرين الثاني عام 1831 في لندن، عُيّن وزيرًا في لشبونة عام 1874، عين عام 1876 حاكمًا عامًا للهند، اهتم خلال خدمته هناك بشكل رئيسي بعلاقات الهند مع أفغانستان وكان مُكلّفًا بمواجهة التوسع الروسي وتامين حدود افغانستان، استقال من منصبه عام 1880، أنهى مسيرته المهنية سفيرًا بريطانيًا في فرنسا (1887–1891)، توفي عام 1891.
ينظر: Encyclopedia Britannica Library, 2010

حاول شير علي تدارك الامر فارسل رسالة الى لايتون ابلغه عن رغبته في استمرار العلاقات بين البلدين، وطلب منه دعما عسكريا للدفاع عن بلاده، فوعده بدراسة الامر شرط موافقته على قبول ضباط بريطانيين في المناطق الشمالية الافغانية، وعدم الاتصال مع روسيا او اي قوة اجنبية اخرى، لكن شير علي رفض الطلب احتراما للافغان وخشية ان تطالب روسيا بالامر نفسه (العيلة، 1986، صفحة 115)

ادى هذا الموقف الى استياء اللورد لايتون فأرسل رسالة شديدة اللهجة إلى شير علي في تشرين الأول 1876 جاء فيها "**أن مصلحة بريطانيا الوحيدة في الحفاظ على استقلال أفغانستان تتمثل في توفير الأمن لحدودنا ولكن في اللحظة التي نتوقف فيها عن النظر إلى أفغانستان باعتبارها دولة صديقة وحليفة قوية، فما الذي يمنعنا من توفير الأمن على حدودنا من خلال التفاهم مع روسيا، وهو ما قد يؤدي إلى محو أفغانستان من على الخريطة بالكامل** (Stewart, 2011, p. 144)"

حاول لايتون الضغط على الامير الافغاني فعقد معاهدة مع حاكم كالات بهدف السيطرة على مقاطعة كويتا، كما تحركت وحدات الجيش في اتجاه أفغانستان بغرض إقامة جسر عبر نهر السند (Stewart, 2011, p. 144) مما اضطر شير علي للتفاوض فعقد مؤتمر بين الجانبين عام 1877، لكنه لم يحقق اي نتيجة بسبب وضع الجانب البريطاني لمسألة نشر ضباط بريطانيين على الحدود الأفغانية شرطا للمفاوضات، الامر الذي رفضه ممثل شير علي وبذلك انتهى المؤتمر (Coloner G. B Malleson, 1879, p. 450) (Kakar, 2006, p. 26)

فضلا عن ذلك سلم لايتون رسالة أخيرة إلى المبعوث الأفغاني أشارت الى اعتبار الامير الافغاني جارًا غير مُرضٍ، وكان من الشروط الأساسية لتحسين العلاقات استقبال الضباط البريطانيين على الحدود الشمالية وبخلافه فإن الحكومة البريطانية ملزمة بالتنصل من جميع الالتزامات المبرمة بين الطرفين (Fraser- Tytler, 1885, p. 142)

المبحث الاول: قيام الحرب 1878–1879

اولا: بعثة ستوليتوف وتشامبرلن واثرهما في قيام الحرب

انعكست احداث الحرب الروسية العثمانية[1] على العلاقات الافغانية البريطانية اذ قام الروس بمناورة للضغط على بريطانيا من خلال تشكيل ارتال عسكرية عام 1878 استعدادا للتحرك نحو افغانستان (Balance, 1993, p. 36)، فضلا عن ارسال بعثة روسية الى كابول بقيادة الجنرال نيكولاي ستوليتوف (Nikolai Stolietov)[2] ضمت 250 شخص بهدف الحصول على دعم الامير الافغاني (Wahab.S, 2007, p. 89)

حاول شير علي الاعتذار من كوفمان لعدم استطاعته استقبال اي اوربي في بلاده لعداء الشعب الافغاني للاوربين، وحتى لايثير غضبه اقترح عليه ان يرسل مندوبا عنه الى طشقند اذا كان الامر مهم ويحتاج مناقشة على نحو مماثل لما حدث مع بريطانيا في سميلا وبيشاور، لكن كوفمان رفض الاقتراح وحمل شير علي مسؤولية سلامة البعثة (العيلة، 1986، الصفحات 126–127)

لم يكن امام شير علي غير استقبالها وفي الثاني والعشرين من تموز 1878 وصلت البعثة الى كابول واجتمع اعضائها مع شير علي وعرضوا عليه تحالفا عسكريا دفاعيا وهجوميا ضد بريطانيا، وتعهدوا ببناء الطرق وتثبيت خطوط التلغراف داخل البلاد (الطالب، 2009، صفحة 49) (Runion, 2007, p. 80)

1- أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في نيسان 1877، بسبب "القضية البلغارية" التي انتهت سريعاً بانتصار روسيا بموجب معاهدة سان ستيفانو San Stefano والتي رفضت الحكومة البريطانية الاعتراف بها ينظر: (Balance, 1993, p. 36)

2- ستوليتوف: قائد روسي برتبة مشاة، ولد عام 1831، شارك في حروب القرم والقوقاز،عمل منذ عام 1867 في تركستان وشارك في بعثات دبلوماسية إلى فارس وأفغانستان،كُلف عام 1876 بتشكيل وقيادة القوات البلغارية الاحتياطية التي شارك بها في الحرب الروسية-االعثمانية (1877–1878)، قاد بعثة دبلوماسية روسية إلى أفغانستان عام 1878 لتعزيز النفوذ الروسي ضمن صراع القوى الكبرى ضد بريطانيا، عُين عضوًا في لجنة ألكسندروف لرعاية الجرحى عام 1911، توفي عام 1912

ينظر: Куропаткин, А. Н. Завоевание Туркмении. Санкт-Петербург: В. Березовский, 2019,

جاء رد الامير الافغاني على المطالب الروسية بالرفض بعد اجتماعه مع مستشاريه لكنه لم يعلن ذلك بشكل صريح لرئيس البعثة، بل ابلغه عن عزمه ارسال بعثة افغانية للتباحث مع السلطات الروسية في طشقند، وكان الهدف عدم اثارة استياء الروس ضده (العيلة، 1986، صفحة 128) ومن حسن حظه فان اعضاء البعثة غادروا كابول بعد توصل بريطانيا وروسيا الى اتفاق في مؤتمر برلين (Wahab.S, 2007, p. 89)

اثارت البعثة الروسية استياء ليتون وكرر طلبه الذي وافق عليه البرلمان في الرابع عشر من آب بضرورة موافقة الحكومة الأفغانية على استقبال بعثة بريطانية (حتى بعد رحيل ستوليتوف) بهدف الحصول على موافقة شير علي على عدد من الشروط اهمها استقبال بعثة بريطانية في كابول عندما ترى الحكومة الهندية ذلك ضروريا، إنشاء بعثة بريطانية عسكرية دائمة في هرات، بلخ و قندهار، يتعين على الافغان الحصول على موافقة بريطانيا قبل التفاوض مع أي دولة أخرى (Fremont-Barnes, 2009, p. 52)

فضلا عن ذلك رفض ليتون تجاهل شير علي في الرد على طلبه، وحذره من أن رفضه استقبال بعثة سوف يُفسَّر على أنه عمل غير ودي، ومن ثم قد يُلزم بريطانيا بالتنصل من التزاماتها تجاه أفغانستان، وعليه، أرسل السير نيفيل تشامبرلين (Neville Chamberlin)[1] في بعثة جديدة (Fremont-Barnes, 2009, p. 52)

ترك هذا الموقف شير علي في حيرة من امره، فرفض البعثة كان بمثابة دعوة إلى الحرب مع بريطانيا، اما قبولها قد يدفع روسيا للمطالبة بارسال بعثة مماثلة، ومما زاد من معاناته خلال تلك المرحلة وفاة ابنه عبد الله جان الوريث المعين من قبله (Stewart, 2011, p. 145)

1- نيفيل تشامبرلن: وُلد عام 1820، التحق وهو في السابعة عشرة من عمره بجيش البنغال، شارك في الحرب الأفغانية الأولى ضمن قوة الجنرال نوت عند احتلال قندهار وفي معارك غزنة وكابول، تقلّد منصب قائد شرطة البنجاب العسكرية، أصبح السكرتير العسكري لحكومة البنجاب وقائداً لقوة حدود البنجاب، قاد عدة حملات ضد القبائل الحدودية خلال ثورة 1857، تولّى قيادة العمود المتحرك في البنجاب حتى عُيّن ضابطًا عامًا للأركان في دلهي، رُقّي إلى رتبة جنرال مساعد، رُقّي إلى رتبة لواء عام1873، تولّى قيادة جيش مدراس (1876-1881)،اختاره اللورد ليتون لقيادة بعثة خاصة إلى الأمير شير علي عام 1878، تقاعد عام 1881، رُقّي إلى رتبة مشير عام 1900، توفي عام 1902.

يُنظر: Buckland, C. E. Dictionary of Indian Biography. London: Swan Sonnenschein & Co., 1906, P. 77

على اية حال وصل تشامبرلين الى قرية جمرود وأقام معسكره فيها في الحادي والعشرين من أيلول 1878، ثم أرسل مجموعة مكونة من 200 جندي إلى خيبر بقيادة الرائد لويس كافانياري (Louis Cavagnari)[1]، وعند لقائه بالقائد الافغاني اخبره الاخير أنه بدون أوامر من كابول، فإنه عاجز عن السماح للبريطانيين بالمضي قدماً، ولم ير كافانياري أي جدوى من إطالة المقابلة فسأله: **"لقد جئت فقط للحصول على إجابة مباشرة منك، هل ستعارض مرور البعثة بالقوة؟" فأجابه: "نعم، سأفعل، ويمكنك أن تعتبر ذلك بمثابة لطف مني"** (Stewart, 2011, p. 145) (الطالب، 2009، صفحة 49)

في اليوم التالي عاد كافانياري إلى المعسكر وعادت بعثة تشامبرلين[2] إلى بيشاور، ولم يكد ليتون يبلغ بفشل المهمة حتى أرسل برقية عاجلة الى حكومة لندن جاء فيها: **"لقد استنفذت كل السبل الدبلوماسية المتاحة، ولابد أن نتخذ على الفور تدابير أخرى"** (Stewart, 2011, p. 147)

لم يكن اعضاء الحكومة في لندن متفقين على مسالة اعلان الحرب على افغانستان لاسباب منها ان الوقت غير مناسب، فضلا عن خشيتهم من احتمال تقديم روسيا الدعم لافغانستان، لذا طلب من لايتون ارسال رسالة الى شير علي خان بهدف مطالبته للموافقة على وجود بعثة بريطانية دائمة في كابول مع تحديد وقت للرد عليها (العيلة، 1986، صفحة 132)

في الحادي والثلاثين من تشرين الاول 1878 ارسل لايتون رسالة شديدة اللهجة وبمثابة انذار وامهله حتى العشرين من تشرين الثاني للرد عليها، وبخلافه يكون الامير عدوا لبريطانيا وسوف تبدأ العمليات العسكرية ضده على الفور (Coloner G. B Malleson, 1879, p. 452)

1- لويس كافانياري: وُلد عام 1841، تلقّى تعليمه في مدرسة كرايست هوسبيتال وأكاديمية أديسكومب، التحق بجيش شركة الهند الشرقية عام 1858، عُيّن نائبًا لمفوض بيشاور ورافق عدة حملات على الحدود بين عامي (1868-1878)، كان عضوًا في بعثة السير نيفيل تشامبرلين إلى شير علي، ابرم معاهدة جانداماك مع يعقوب خان في ايار عام 1879، عُيّن مقيماً سياسياً في كابول، قتل وجميع أفراد بعثته على يد الثوار الافغان في الثالث من ايلول عام 1879. يُنظر: Buckland, C. E. Dictionary of Indian Biography. London: Swan Sonnenschein & Co., 25 High Street, Bloomsbury, 1906.P. 76

2- لم يكن اختيار تشامبرلين لرئاسة البعثة موقفا. فقد شارك الجنرال في اقتحام غزنة مع جيش السند، وفي عام 1842 كان مع قوة نوت في الاستيلاء على استالف وتدميرها. ولم يكن من المرجح أن يجعل سجل تشامبرلين العسكري في أفغانستان ابن دوست محمد يحبه. ينظر: (Stewart, 2011, p. 147)

حاول شير علي خلال المدة المحددة الحصول على الدعم الروسي عن طريق القائد كوفمان، الا ان الاخير ابلغه بعدم امكانية تقديم المساعدة لان الممرات عبر الهند مسدودة بالثلوج ونصحه بالتفاهم مع البريطانين (Fremont-Barnes, 2009, p. 53) (Kakar, 2006, p. 27)

عند انتهاء الموعد المحدد اصدرت حكومة الهند منشورا في الحادي والعشرين من تشرين الثاني 1878 القت من خلاله اللوم على شير علي خان لعدم استجابته لقبول بعثة بريطانية في حين وافق على استقبال بعثة روسية، كما بررت تقدمها العسكري واعتبرته لايضر باستقلال البلاد وسلامتها وان القصد منه معاقبة الامير الافغاني فقط (العيلة، 1986، صفحة 135)

ازاء ذلك دعا شير علي شعبه الى الجهاد بالقول: "**شنوا حربًا مقدسة من أجل الله ورسوله،بأموالكم وأرواحكم فليؤازر الأغنياء الفقراء، وليمت الجميع من أجل القضية المقدسة، لقد اتخذت دولة أجنبية دون أي سبب أو أدنى استفزاز قرارها بغزو بلادنا وقهرها**" (Fremont-Barnes, 2009, p. 57)

ثانيا: العمليات العسكرية

بدات العمليات العسكرية البريطانية في الحادي والعشرين من تشرين الثاني1878 وهكذا انطلقت شرارة الحرب الثانية (حسون، د.ت، صفحة 163)، وتم تقسيم القوات الى ثلاثة اقسام كان القسم الاول بقيادة صموئيل براون (Samuel Browne) اذ تقدمت قواته نحو ممر خيبر الا انها واجهت مقاومة من قبل القوات الافغانية بقيادة فيض الله خان وحدثت معركة بالمدفعية بين الجانبين كبدت القوات البريطانية خسائر في ذخيرة المدفعية البريطانية، فضلا عن وقوع عدد من القتلى، الا ان براون امر قواته بالتقدم نحو حصن مسجد علي ونجح في السيطرة عليه، مما اضطر القوات الافغانية للانسحاب نحو جلال اباد (Balance, 1993, pp. 39-40) (الطالب، 2009، صفحة 52)

اما القسم الثاني كان بقيادة فردريك روبرتس (Frederick Roberts) اذ بلغت قواته 6,600 رجل و18 مدفع، وكان متوجها الى وادي كورام (Kurram) مرورا بمنطقة بيوار كوتال Peiwar Kotal، وممر شوتاغاردان Shutagardan بهدف الوصول الى كابول، الا انه واجه مقاومة عنيفة من الافغان الذين كانوا متمركزون في مواقع معدة

بشكل جيد تدعمهم المدفعية على قمة سلسلة من التلال المطلة على ممر ضيق في بيوار كوتال، وبلغ تعدادهم 5000 جندي، لذا أصبحت مسألة شن هجوم أمامي أمرا صعبا، فقرر روبرتس تطويق القوات الافغانية من الخلف (Fremont-Barnes, 2009, p. 56)

في الاول من كانون الاول قام بالالتفاف حولهم والانقضاض عليهم، وبينما كان البريطانيون يتقدمون نحو بيوار كوتال مع مدافع فرسان الملكية وهم يقصفون مخيم الجيش الافغاني، تدافعت الجمال واشتعلت النيران في الخيمة، وأصيب السائقون وحرس المخيم بالذعر وفروا، تاركين 18 مدفعا، وبهذا نجح روبرتس في تحقيق الانتصار ولم يسفر الهجوم إلا عن مقتل 20 ضابطا وجنديا وإصابة 78 آخرين من الجانب البريطاني (Stewart, 2011, p. 154)

كان القسم الثالث تحت قيادة القائد ويلتشير (Wiltshire) وكان هدفه مدينة قندهار، وخلال طريقه واجه مقاومة من قبل حاكم كالات لكنه قتل على يد القوات البريطانية وتم تنصيب شخص موال لهم، ونجح دونالد ستيوات (Donald Stewart) احد مساعدي ويلتشير بالوصول الى قندهار دون مقاومة لانسحاب القادة الافغان لاسيما وان ليتون قام باتصالات نشطة مع الزعماء الافغان قبل تحرك قواته (العيلة، 1986، صفحة 141)

نتيجة لهذه الانتصارات اصدر شير علي منشورا الى القوات البريطانية في الثالث عشر من كانون الاول 1878 اوضح من خلاله حقيقة الازمة مع حكومة الهند واقترح عقد مؤتمر دولي لمناقشة المشكلة الافغانية وتعهد بتنفيذ مقررات المؤتمر، لكن حكومة الهند البريطانية لم تستجب له (العيلة، 1986، صفحة 124) فتحول إلى الروس مرة اخرى طالبا المساعدة، لكن روسيا لم تعد مهتمة بالقتال مع البريطانيين حينها، لذا قام بتنصيب ابنه يعقوب خان وصيا على العرش واتجه إلى الحدود الشمالية عازما على التوجه إلى سانت بطرسبرغ للدفاع عن قضيته مباشرة أمام القيصر، لكن الروس رفضوا السماح له بالمرور فعاد أدراجه وتوفي بالقرب من بلخ في الحادي والعشرين من /شباط 1879 (Fraser- Tytler, 1885, p. 147) (Gankovsk y, 1985 , p. 154)

خلال شهر كانون الثاني 1878 استطاعت القوات البريطانية احتلال جلال آباد وقندهار، وفي أقل من ثلاثة أشهر اصبح الجزء الأعظم من جنوب أفغانستان في أيدي البريطانيين، وانتقمت بريطانيا للإهانة التي وجهت إلى تشامبرلين في ممر خيبر، وتشتت جيش الأمير النظامي إلى الحد الذي لم يعد معه من الممكن استعادته (Stewart, 2011, p. 155)

المبحث الثاني: الثورات الافغانية ضد الوجود البريطاني 1879-1880

اولا: وصول يعقوب خان للسلطة وتوقيع معاهدة جانداماك

سعى يعقوب خان[1] منذ توليه السلطة الى انهاء الحرب والمبادرة بعرض للسلام فاعلن عن رغبته في إقامة رابطة صداقة مع "الحكومة البريطانية الموقرة"، وهو ما اعتبره ليتون عرضاً للسلام، ومن ناحية اخرى فرضت الظروف التي كان يمر بها الجيش البريطاني الذي كان يعاني من تفشي وباء الكوليرا، فضلا عن ارتفاع تكاليف الحملة العسكرية وازدياد المعارضة ضد حكومة دزرائيلي الى موافقة لايتون على العرض (Fremont-Barnes, 2009, p. 59)

وفقا لذلك أرسل الرائد السير لويس كافانياري ممثل ليتون بيانا في السابع من آذار 1879 يشرح بالتفصيل الأساس التمهيدي الذي يجب أن تقوم عليه المفاوضات وتضمن تنازل الأمير عن سلطته على ممرات خيبر ومخيني Michni والقبائل المحيطة بها، تظل بيشين Pishin، وسيبي Sibi، ووادي كورام حتى ممر شوتاغاردان تحت الحماية والسيطرة البريطانية، تنظيم العلاقات الخارجية للحكومة الأفغانية بما يتفق مع مشورة ورغبات بريطانيا، منح الإذن بتمركز ضباط بريطانيين مع مرافقين مناسبين في أفغانستان (Fremont-Barnes, 2009, p. 60)

وافق يعقوب خان على الشروط البريطانية وعليه تم توقيع معاهدة جانداماك (Gandamak) في السادس والعشرين من ايار 1879 مع الممثل البريطاني السير لويس كافانياري، بموجبها فقدت أفغانستان استقلالها بالفعل، اذ تقرر تعيين مقيم بريطاني مع حراس مسلحين بشكل دائم في كابول، اعتراف يعقوب بحق بريطانيا في السيطرة على سيبي وبشين ووادي كورام وممرات خيبر وميتشني (Gankovsk y, 1985 , p. 154)

1- يعقوب خان: امير افغانستان 1879، ابن شير علي خان، وقع معاهدة جانداماك مع بريطانيا في ايار 1879 وافق بموجبها على استقبال سفارة بريطانية دائمة في كابول، كما وافق على إدارة علاقاته الخارجية مع الدول الأخرى وفقًا لرغبات الحكومة البريطانية ونصائحها، تنازل عن العرش ونفي الى الهند في تشرين الاول 1879 بعد مقتل المبعوث البريطاني واحتلال القوات البريطانية كابول، توفي عام 1923. ينظر: Encyclopedia Britannica Library, 2010

(Fraser- Tytler, 1885, p. 147) فضلا عن سيطرتها على السياسة الخارجية لافغانستان، مقابل ذلك تعهد البريطانيون بالانسحاب من جلال اباد وقندهار، ودفع راتب سنوي للامير قدره 60 الف جنيه استرليني، كما وعدوه بالدفاع عن البلاد في حال تعرضها لعدوان خارجي (Barfield, 2010, p. 140)

استفاد البريطانيون بشكل جيد من المعاهدة على الصعيد الإقليمي وخضعت الجيوب المحيطة بممر خيبر ووادي كورام وكويتا وممر بولان للنفوذ البريطاني، فتقرر ان تنسحب القوات البريطانية من جميع الأجزاء الأخرى من المنطقة الأفغانية في أقرب وقت ممكن، لكن الانسحاب تأخر في بعض الأماكن بسبب تفشي الكوليرا (Balance, 1993, p. 42)

تولى كافانياري منصب المندوب البريطاني في كابول وكان يجيد التحدث باللغة البشتونية كما كان يتمتع بخبرة كبيرة في الشؤون السياسية للجبهة الشمالية الغربية، وفي تموز 1879 تقدم برفقة مجموعة من الجنود مكونة من 75 جندي و50 جندي من السيبوي من فيلق المرشدين وهم من نخبة فرسان الهند مـن الحدود الشمالية الغربية، ووعـده الأميـر بتوفيـر ممر آمـن لـه فـي رحلتـه إلى كابـول (Fremont-Barnes, 2009, p. 61)

وصل الى كابول في الرابع والعشرين من تموز ودخلها باسلوب المنتصر اذ اصابه الغرور واصر على دخول العاصمة وسط مظاهر الفخامة التي تليق به فامتطى فيلا وسار في شوارع المدينة في ظل ممالقة رجال الادارة الذين ملأوا العاصمة بمظاهر الترحيب وكانت الاطلاقات النارية تسمع في كل جانب احتفاءً به وقرر ان يتخذ من بالا حصار مقرا له (العيلة، 1986، صفحة 143)

ثانيا: اندلاع الثورات الافغانية

اعتقد البريطانيون انهم نجحوا باسلوبهم العسكري في فرض ارادتهم على الشعب الافغاني، فبالرغم من انسحاب القوات العسكرية البريطانية الا ان وجودهم لم يختف من العاصمة فكانوا اصحاب السلطة العليا في النواحي الادارية والعسكرية، وكانت معاملتهم للمواطنين تتسم بالتعالي والفضاضة مما اثار حقداً عليهم (العيلة، 1986، صفحة 143) سرعان ماتحول الى ثورة عارمة لاسيما بعد ان قامت القوات الأفغانية بالمسير من هرات في آب 1879 واحتلت مقراً لإقامتها في معسكر في شيربور وأظهرت استياءها من وجود

كافانياري علانية، كما أعربت عن استيائها من فشل الحكومة في دفع رواتب الموظفين في الوقت المناسب (Fremont-Barnes, 2009, p. 62)

وصلت الامور ذروتها في الثالث من ايلول اذ وصلت كتائب عدة من الجنود الى مقر الامير يعقوب خان في بالا حصار وطالبته بدفع رواتبهم المتاخرة منذ ثلاثة شهور، لكنهم لم يحصلوا سوى راتب شهر واحد فقط، الامر الذي اثار غضبهم وتبع ذلك اعمال شغب تحولت ضد المقيم البريطاني، وحاول الامير تدارك الامر فارسل القائد العام الافغاني داود خان لتهدئتهم لكنهم قاموا بانزاله من جواده وركله باقدامهم (Balance, 1993, p. 42) (Fietchar A. , 1966, p. 133)

اصبح الموقف البريطاني خطر، اذ كان المقر يتألف من عدد قليل من المباني الصغيرة ذات الأسطح المسطحة المحاطة من عدة جوانب بهياكل أخرى تفتقر إلى جدار محيطي مناسب، لذا بذلت القوات قصارى جهدها في مواجهة الموقف السيئ من خلال تحصين الأراضي، ثم ساءت الأمور اكثر عندما انضمت اعداد كبيرة من الشعب إلى القوات الأفغانية البالغ عددها 2000 جندي (Fremont-Barnes, 2009, p. 63)

عندما بدأ الهجوم قُتل كافانياري وتبعه ضابطان آخران، في حين واصل الملازم والتر هاملتون (Hamilton) وقواته المقاومة من فوق الأسطح، وكانت حرابهم جاهزة للتصدي لأطقم المدفعية المنتشرة حول المقر، الا ان عدد المدافعين تقلص بسبب قيام الأفغان بإشعال النار في المبنى فقتل هاملتون وهو يقود هجمة أخرى، ومع حلول الليل لم يتبق سوى مجموعة من الجنود الهنود الذين رفضوا الاستسلام، لكنهم قتلوا في النهاية (Fraser- Tytler, 1885, p. 148)

وبمجرد التأكد من أن الحامية بأكملها ميتة تم القاء جميع الجثث في حفرة حُفرت لهذا الغرض، ولم يتم العثور على جثة كافانياري أبدًا وربما تم حرقها في المنزل، اما موقف يعقوب خان من هذه الاحداث فانه تجاهل توسلات كافانياري للمساعدة ورغم امتلاكه الجنود لكنه خشي من ردة فعل الثوار ضده (Stewart, 2011, p. 165)

ازاء ذلك اتخذت حكومة الهند قرارا بدفع قواتها من جديد الى افغانستان للانتقام من الافغان فتحرك الجنرال روبرتس والجنرال ماسي الى ممر شوتاغاردن والجنرال ستيورات الى قندهار، ونظرا لعدم قدرة الامير يعقوب خان على مواجهة القوات البريطانية

حاول تدارك الامر فارسل رسالة تضمنت مشاعره المخلصة لهم واسفه لما اصاب المبعوث البريطاني في كابول (العيلة، 1986، صفحة 144) لكن رد روبرتس كان صادما اذ ذكر فيه " **مادامت جثث هؤلاء الضباط والرجال لاتزال غير مدفونة او مهملة في كابول، فانا لا اعتقد ان الشعب الانكليزي سوف يرضى ابدا** "، واضاف ايضا "**انهم سيحتاجون الى تقدم قوة بريطانية، والعقاب المناسب للجريمة** " (Fremont-Barnes, 2009, p. 64)

على الرغم من ذلك استمر الامير الافغاني في محاولاته اذ وصل الى معسكر روبرتس في الخامس والعشرين من ايلول 1879 وخلال اللقاء حاول استرضاء الجنرال بطلب بعض الوقت لاستعادة النظام بين قواته، والعثور على المسؤولين عن الهجوم على المقر ومعاقبتهم، لكن الاخير رفض وكان مصرا على التقدم نحو كابول بأقصى سرعة ممكنة، فضلا عن ذلك وافق روبرتس على استضافة يعقوب في معسكره، لإبقائه على اطلاع على تحركاته وأيضاً لمنعه من أن يصبح نقطة تجمع للمقاومة في المسيرة القادمة نحو كابول، وفي اليوم نفسه أرسل إعلاناً إلى كابول اعلن أن أي شخص يُضبط وهو يحمل السلاح سوف يُعامل كعدو، وفي الثاني من تشرين الأول انطلقت القوة بأكملها ومعها يعقوب خان (Stewart, 2011, p. 169)

لم تكن مسيرة روبرتس نحو كابول خالية من المواجهات مع الثوار الافغان اذ تقدموا واحاطوا بالمعسكر البريطاني واحتلوا الطريق الى كابول وشنوا عدة هجمات على القوات البريطانية، الا ان الجنرال روبرتس تمكن من ان يشق طريقه بفضل اسلحته المتطورة وجيشه حديث التنظيم ودخل كابول في الثالث عشر من تشرين الاول 1879 (العيلة، 1986، صفحة 145)

كان الانتقام فورياً ومميتاً فأقيمت المشانق أمام مقر السفارة المتضرر، وعرضت مكافآت لمن يدلي بمعلومات عن أولئك الذين حملوا السلاح ضد البريطانيين، وتم إعدام أي أفغاني على مسافة عشرة أميال من كابول وفي حوزته سلاح، كما اصدر اللورد ليتون اوامره الى روبرتس بإحراق كابول بالكامل (Balance, 1993, pp. 43-44)

فضلا عن ذلك أصدر الجنرال روبرتس إعلانًا أبلغ فيه شعب أفغانستان بتنازل يعقوب عن العرش، وتم نفيه إلى الهند تحت الحراسة بعد اتهامه بعدم اتخاذ تدابير فعالة لمساعدة السير لويس كافانياري (Gankovsk y, 1985 , p. 154) (Kakar, 2006, p. 30)

تولى روبرتس الحكم وفرض الأحكام العرفية وحكم كأمير فعلي لعدة أشهر لاحقة، الا ان المقاومة الافغانية لم تتوقف فاندلعت الثورة على الفور وبرز خلالها قادة أكفاء من بين مجموعة واسعة من القبائل والجماعات العرقية بما في ذلك ملا الغلزاي مير دين محمد المعروف باسم "مشكي ايلام" الذي دعا إلى الجهاد، والجنرال محمد جان من جنوب كابول (Wahab.S, 2007, p. 91) (Kakar, 2006, p. 34)

في نهاية تشرين الثاني شنّ الثوار هجومًا على كابول ودارت المعارك الحاسمة بين مفارز الثوار والقوات التي يقودها روبرتس عند جبل كوهي أسماعي، وانتهت بانتصار الأفغان على مشارف كابول اذ أُجبر الجنرال روبرتس وقواته على التراجع إلى معسكر شيربور وفي الخامس عشر من كانون الاول 1879 دخل الثوار الافغان كابول، لكنهم اضطروا للتراجع بعد وصول التعزيزات للقوات البريطانية، وفي كانون الثاني 1880 استعاد البريطانيون سيطرتهم على كابول (Gankovsk y, 1985 , p. 156)

المبحث الثالث:: تولي عبد الرحمن السلطة ونهاية الحرب (1880 - 1881)

ادرك البريطانيون منذ مطلع عام 1880 ان السيطرة على افغانستان كدولة عازلة تتطلب السيطرة على الشعب الافغاني المعارض فرغم انتصارهم في كابول، الا انهم لم يتغلبوا على معنوياتهم القوية (Runion, 2007, p. 81) اذ استمرت حرب العصابات وفقدت الدوائر الحاكمة البريطانية كل أمل في تحويل أفغانستان إلى مستعمرة بقوة السلاح (Gankovsk y, 1985 , p. 157)

فضلا عن ذلك، واجهت سياسة ليتون في افغانستان انتقادات كثيرة من قبل المعارضين، فاتخذ مجموعة من الاجراءات بهدف استرضائهم اهمها عزل الجنرال روبرتس من منصبه في ادارة الشؤون المدنية وتعيين ليبل هنري غريفين (Lepel Henry Griffin)[1] السكرتير العام لإقليم البنجاب وكيلا سياسياً في كابول (L.Lee, 2018, p. 376) كما قام بتعيين الجنرال ستيوارت قائد قوة قندهار الميدانية، قائداً عاماً للجيش بدلا من روبرتس (Kakar, 2006, p. 39)

ازاء هذه الاوضاع بذل لايتون جهود كبيرة لايجاد حل للمسألة الافغانية وإخراج الجيش من أفغانستان دون المساس بأمن الهند البريطانية، وكان الحل يكمن في البحث عن زعيم قوي متعاون مع بريطانيا، وحاصل على موافقة الافغان في حكم البلاد (Stewart, 2011, p. 182)، في كانون الثاني 1880 وصلت أنباء عن

1- ليبل هنري غريفين: أحد أبرز صناع السياسة البريطانية في أفغانستان خلال القرن التاسع عشر، وُلِد عام 1838 في بريطانيا، التحق بالخدمة المدنية الهندية عام 1859، بدأ حياته العملية في البنجاب عام 1860، لمع نجمه بشكل خاص خلال الحرب البريطانية-الأفغانية الثانية (1878-1881) إذ اختاره اللورد ليتون ليكون المبعوث السياسي الأعلى في كابول عام 1880 مكلفًا بمهمة حساسة تتعلق بترتيب مستقبل الحكم في أفغانستان بعد الانسحاب البريطاني،عاد إلى بريطانيا وظل ناشطًا في مجالات الفكر والسياسة حتى وفاته عام 1908. ينظر:

Lee, Sidney (ed.). Dictionary of National Biography, Second Supplement, Vol. II: Faed–Muybridge. London: Smith, Elder & Co.; New York, 1912, P.167-168

عـودة (عبد الرحمن) [1] للمطالبة بالعرش، وهو حفيد دوست محمد الذي لجأ إلى روسيا بعد خسارته امام عمه شير علي خلال مرحلة الصراع على العرش (Barfield, 2010, p. 142) (Kakar, 2006, p. 38)

كان عبد الرحمن لطيفًا في معاملته لأبناء النبلاء المحليين الذين لم يخضعوا له بعد، واستقبلهم استقبالًا حافلًا محاولًا كسب ودهم، كما دعا أصحاب النفوذ الذين احتاجهم فارتفعت مكانته، لكنه واجه منافسة على العرش من قبل غلام حيدر خان القائد الأفغاني الذي عيّنه الأمير يعقوب نائبًا له عام 1879 الذي حكم مزار شريف ومدنًا أخرى على الضفة اليسرى لنهر آمو داريا، فارسل قوات كبيرة لكنها انضمت الى عبد الرحمن واعترفت به قائدًا لها (Gankovsk y, 1985 , p. 157)

لم يضيع لايتون الوقت وكلف السير ليبيل غريفين بمهمة التفاوض مع عبد الرحمن فابلغه برسالة اكـد مـن خلالها عـدم نيـة بـريطانيـا ضم أفغانستـان، وأن رغبتهـا الرئيسية أن ترى أميراً قويـاً ودوداً يتـولى الحـكم في كـابـول (Hensman., 1881 , p. 432)، كما ابلغه بموافقة بريطانيا على توليه زمام الامور في البلاد باستثناء قندهار، وهرات التي كانت آنذاك في حوزة ابن عمه أيوب خان الابن الثاني لشير علي (Fraser- Tytler, 1885, p. 153)، فضلا عن أن الحكومة البريطانية ليست عدائية تجاهه بسبب إقامته في الإمبراطورية الروسية، وأنها قادرة على مساعدته أكثر مما تستطيع روسيا، فرد عبد الرحمن بأنه لم يبرم أي اتفاق مع روسيا، وأنه مرتبط بها فقط لأنه "أكل ملحها"، وأن أفغانستان تحت قيادته ستكون صديقة لكل من بريطانيا وروسيا (Kakar, 2006, p. 41)

في الوقت ذاته حاول عبد الرحمن عدم اثارة اتباعه الذين أرادوا منه أن يعلن الجهاد ضد البريطانيين، فابلغ غريفين إنه جاء فقط لمساعدة أمته في حيرتها ومشكلتها العظيمة، وهكذا فُتح الباب أمام مفاوضات أكثر تفصيلاً، وفي المراسلات اللاحقة طلب إيضاحاً حول

1- عبد الرحمن خان: وُلد عام 1844 في كابول، أفغانستان، أمير أفغانستان (1880-1901)، شارك مع والده افضل خان في الصراع على السلطة مع شير علي خان، غادر الى تركستان الروسية بعد انتصار شير علي خان عام 1869، عاش في سمرقند حتى وفاة الاخير عام 1879، عاد الى افغانستان عام 1880، تفاوض مع البريطانيين على تسوية تعترف به أميراً مقابل اعترافه بحق البريطانيين في التحكم في علاقاته الخارجية، شهد عهده قيام عدد من التمردات الداخلية لكنه نجح في القضاء عليها، تم في عهده ترسيم الحدود الشمالية الغربية لأفغانستان مع روسيا وبريطانيا عام 1893، توفي عام 1901 في كابول. ينظر: Encyclopedia Britannica Library, 2010

ما إذا كانت بريطانيا ستطالب بحق إقامة مبعوث دائم لها في البلاد، كما طلب أن تُضم قندهار وإن أمكن هرات أيضا إلى مملكته (L.Lee, 2018, p. 377)

حاول غريفين استخدم اسلوب المراوغة بهدف تخفيف عبد الرحمن من شروطه، لكن الاخير القى خطابا مثير للقلق موجه إلى زعماء القبائل أعلن استعداده للزحف إلى كابول لاستعادة شرف أفغانستان، ونظراً للسرعة التي كانت تتجمع بها القبائل الأفغانية حول لواء عبد الرحمن اصبح في وضع يسمح له بإملاء الشروط على البريطانيين، وتعززت المخاوف البريطانية بتقرير عن شن بعض الهجمات الشرسة في منتصف نيسان على فرقة ستيوارت في غزنة (Stewart, 2011, p. 184)

دفعت هذه الاوضاع لايتون الى السعي لكسب عبد الرحمن فارسل له رسالة تصالحية وعده بسحب جميع القوات البريطانية بحلول تشرين الاول 1880 ودعاه إلى التوجه إلى كابول للاستيلاء على عرشه، لكن عبد الرحمن لم يقتنع تمامًا بهذا العرض وأراد أن يعرف ما سيكون عليه وضع قندهار (Stewart, 2011, p. 184)، كما ابلغه إنه يجب أن تكون له سيطرة كاملة على المنطقة التي كان يحكمها جده دوست محمد خان سابقًا (Gankovsk y, 1985 , p. 159)

في هذه الأثناء، طرأ تغيير جذري على المشهد السياسي في بريطانيا اذ أدت الانتخابات العامة إلى الإطاحة بمدرسة الفكر التقدمي، وعادت الأمور إلى سياسة عدم التدخل ففي الثامن والعشرين من نيسان 1880 اكتسح حزب غلادستون (Gladstone) الليبرالي السلطة بفوز كاسح، فاستقال اللورد ليتون مع أصدقائه السياسيين، وخلفه في الشهر التالي نائب الملك في الهند ماركيز ريبون (Ripon)[1] (Fraser- Tytler, 1885, p. 153)

تلقّى ريبون تعليمات محددة بالتخلّي عن "سياسة التقدّم" وسحب جميع القوات من أفغانستان بأسرع ما يمكن عملياً، ولأن حكومة غلادستون لم تعد تشترط أن يوافق أي مرشح للعرش على وجود مبعوث بريطاني دائم في أفغانستان، فقد أزيل بذلك أهم عقبة

1- ريبون:: رجل دولة شغل على مدار أكثر من 50 عامًا من الخدمة العامة مناصب وزارية مهمة، وكيل وزارة الحرب في (1859-1861) وللهند (1861-1863)، أصبح وزير الحرب لرئيس الوزراء اللورد بالمرستون عام 1863، عُين وزيرًا للدولة في الهند عام 1866، أصبح رئيسًا للمجلس الخاص عند تشكيل أول إدارة لويليام غلادستون (1868)، خلف اللورد ليتون نائبًا للملك في الهند في نيسان عام 1880، توفي عام 1909. ينظر: Encyclopedia Britannica Library, 2010

من وجهة نظر عبد الرحمن، ولم يتبقَّ من نقاط الخلاف سوى أن البريطانيين أرادوا الاحتفاظ بالسيطرة على قندهار، بينما كان عبد الرحمن يريدها أن تكون العاصمة الدرّانية السابقة جزءاً لا يتجزأ من أفغانستان (L.Lee, 2018, p. 377)

على اية حال كان نائب الملك الجديد حريصًا على إنهاء الاحتلال الباهظ، لكنه وجد أن عبد الرحمن متردد في أن يُعرف بأنه "مرشح بريطاني، بدوره وجد الزعيم الأفغاني أن الغيلزاي الذين لم يكونوا ودودين تجاهه يرفضون بعناد قبول بند الاتفاقية المقترحة الذي يدعو إلى فصل قندهار عن كابول، لكنه نجح أخيرًا في إقناع زعمائهم بقبول الشروط التي عرضها البريطانيون لضمان انسحابهم من أفغانستان، ومن الممكن إجراء تعديلات لاحقة، وفي السابع عشر من تموز التقى عبد الرحمن بغريفين في شاريكار وتم قبوله رسميًا أميرًا لكابول (Fietchar A. , 1966, p. 138)

فضلا عن ذلك نجح عبد الرحمن خان في الحصول على موافقة بريطانيا على إلغاء بند معاهدة جانداماك المتعلق بوجود مقيم بريطاني دائم مع حراس مسلحين في أفغانستان، وبدلا عن ذلك تقرر وجود وكيل في كابول من بين المسلمين الهنود للتواصل بينه وبين السلطات البريطانية في الهند، إلا أن تعهد عبد الرحمن خان بإجراء محادثات دبلوماسية مع الدول الأخرى من خلال نائب ملك الهند فقط وضع السياسة الخارجية لأفغانستان تحت السيطرة البريطانية (Gankovsk y, 1985 , p. 160)

في الثاني والعشرين من تموز1880 عُقد اجتماعٌ في كابول أُبلغ غريفين فيه مندوبو النبلاء الأفغان بأن الجكومة البريطانية اعترفت بعبد الرحمن خان أميرًا لكابول، وأن القوات البريطانية ستنسحب قريبًا من ممتلكاته، كما زودوه بالأسلحة والمعدات العسكرية، وتقرر منحه إعانة سنوية كبيرة (439-Hensman., 1881 , pp. 435)

من جانبه تعهد الأمير بضمان انسحاب آمن لقوات الاحتلال البريطاني، وأتاح هذا للقيادة البريطانية حرية التصرف وفقًا لتقديرها واستخدام قواتها في عمليات ولاية قندهار، وحرصًا منها على فصل ولاية قندهار عن الدولة الأفغانية جعلتها الحكومة البريطانية "إقليمًا مستقلًا" برئاسة عميلها السردار شير علي خان قندهاري (Gankovsk y, 1985 , p. 160)

لقد جاء نجاح عبد الرحمن على حساب جماعات النخبة الدرانية التي كانت تفضل أسرة شير علي، وكان الأمير الجديد قد تجاوزهم من خلال التوجه مباشرة إلى الغيلزاي

والكوهستانيين، الذين كانت رغبتهم في رؤية البريطانيين خارج البلاد تفوق ولاءاتهم القائمة لورثة شير علي (Barfield, 2010, p. 143)

اثارت مسالة تولي عبد الرحمن خان السلطة استياء ابن عمه ايوب خان حاكم هرات، اذ لم يمض اسبوع واحد على بدأ تحرك القوات البريطانية من كابول في طريق عودتها للهند حتى تحرك بقواته نحو قندهار بهدف طـرد القـوات البريطانيـة وتولي العـرش بنفسه (Fremont-Barnes, 2009, p. 70)، فطلب حاكم قندهار تقديم مساعدة عاجلة لقواته وأرسل البريطانيون لواءً إلى هناك بقيادة الجنرال بوروز(Burrows)، لكن مع اقتراب أيوب خان بدأ جنود حاكم قندهار بالانضمام إليه، فتغير الوضع العسكري والسياسي في ولاية قندهار بشكل جذري ضد البريطانيين، وفي المعركة التي دارت في السابع والعشرين من تموز 1880 بالقرب من قرية مايواند (Maiwand) على بُعد 55 كيلومترًا من قندهار، حقق الأفغان بقيادة أيوب خان انتصارًا ساحقًا، هزم على اثرها بوروز (Hensman., 1881 , p. 463) (Kakar, 2006, p. 50)

ازاء ذلك قاد روبرتس قافلة عسكرية تضم نحو عشرة الاف جندي واصدر اوامره بالزحف نحو قندهار فانطلق من كابول في الحادي عشر من اب، وشكلت مسيرته تلك التي قطع خلالها مسافة 313 ميلا في عشرين يوما سجلا عسكريا مشرفا نظرا للتضاريس التي قطعها (48-Balance, 1993, pp. 47) (Barfield, 2010, p. 144) وحال وصول قواته الى قندهار في الحادي والثلاثين من اب انسحبت قوات ايوب خان الى منحدر يسمى بابا والي كوتال فتعقبهم روبرتس وشنت قواته هجوم اجبر على اثرها ايوب للانسحاب والعودة الى هرات (Hensman., 1881 , p. 527)

وفقا لذلك تقرر اعادة السلطة في قندهار للامير عبد الرحمن خان، في حين تم استبعاد الوالي شير علي ونقله للهند، وفي الحادي والعشرين من نيسان 1881 خرجت الحامية البريطانية الهندية من قندهار، واعلن رسميا نهاية الحرب في الثالث والعشرين من ايار 1881 (Balance, 1993, p. 48) (Barfield, 2010, p. 145)

بعد وقت قصير من إجلاء البريطانيين من أفغانستان وسيطرة عبد الرحمن على قندهار، زحف أيوب خان على المدينة بجيش قوامه اثني عشر ألف رجل، التقت هذه القوات بجيش الأمير ودارات معركة كبيرة انتهت بتحقيق ايوب خان نصرا ساحقا احتل على اثره

قندهار، لكن عبد الرحمن لم يستسلم بل فكر في احتلال هرات مستغلا عدم وجود قوة دفاعية كافية، فضلا عن ذلك قام بتجنيد جيش جـديـد فـي كابـول وتقدم نحو قندهار فانضم إليه اعداد كبيرة من رجال القبائل (Fietchar A. , 1966, pp. 144-145)

في ايلول 1881 تم هزيمة جيش أيوب خان هزيمة ساحقة، فاضطر للانسحاب من قندهار والعودة الى هرات، ولما وجد المدينة تحت سيطرة الأمير واصل طريقه إلى بلاد فارس، ثم ذهب إلى الهند حيث قَبِلَ معاشًا بريطانيًا حتى وفاته (L.Lee, 2018, p. 382) (Barfield, 2010, p. 146)

يمكن القول ان بريطانيا خرجت من هذه الحرب مثل سابقتها بخسائر فادحة في الأرواح، بلغت خمسين ألف قتيل، فضلا عن الخسائر المادية وكذلك العداوة الدائمة من الشعب الأفغاني، ولم تحصل سوى احتفاظها بواديي بيشين وسيبي الاستراتيجيين في بلوشستان، ووضع ممر خيبر ووادي كورام اللذين يمر عبرهما الطريقان الرئيسيان إلى كابول من الهند تحت الإدارة البريطانية وفقًا لترتيبات ليتون في معاهدة غانداماك (Stewart, 2011, p. 196)

فضلا عن ذلك كسبت بريطانيا من هذه الحرب سيطرتها على السياسة الخارجية بعد تعهد الامير الافغاني بعدم اقامته اي علاقات خارجية مع اي دولة اجنبية سوى بريطانيا، لكنه لم يلتزم اذ نشطت اتصالاته مع القائد كوفمان، كما وصلت بعثة روسية الى مدينة هرات الافغانية (العيلة، 1986، صفحة 147)

الخاتمة

توصل البحث الى مجموعة من الاستنتاجات

1) تكبدت بريطانيا خسائر مادية وبشرية كبيرة، ولم تستفد من تجربتها في الحرب الاولى لاسيما موقف الشعب الافغاني الرافض للوجود الاجنبي والنهاية المتكررة لمقتل اعضاء البعثة البريطانية.
2) ادت هذه الحرب الى خسارة حزب المحافظين في انتخابات 1880 بسبب سياستهم في افغانستان فتعرضوا لانتقادات لاذعة من قبل حزب الاحرار الذين وصلوا للسلطة واتخذوا قرار يقضي بسحب القوات البريطانية من افغانستان.
3) من النتائج المهمة للحرب ربط السياسة الخارجية لافغانستان مع بريطانيا من خلال المعاهدة الموقعة مع الامير عبد الرحمن، فضلا عن احتفاظهم ببعض المناطق التي حصلوا عليها من خلال معاهدة جانداماك.
4) اثبتت هذه الحرب ان القوة العسكرية ليست كافية للسيطرة على بلد مثل افغانستان، فالشعب الافغاني يرفض وجود اي اجنبي على ارضه وهو ماحدث في الحرب الاولى ايضا.

المصادر

المصادر الاجنبية

- Balance, E. O. (1993). Afghan Wars 1839- 1992 what Britain Gave and the Soviet Union Lost. London.
- Barfield, T. (2010). Afghanistan Cultural and Political History.. New Jersey.
- Coloner G. B Malleson. (1879). History of Afghanistan From the Earliest Period to the Outbreak of the War of 1878. London.
- Fietchar, A. (1966). AFghanistan Highway of Conquest. New York.
- Fietchar, A. (1966). AFghanistan Highway of Conquest. New York.
- Fraser- Tytler, W. (1885). Afghanistan A Study of Political Develop ment and Southern Asia. Oxford.
- Fremont-Barnes, G. (2009). The Anglo-Afghan Wars 1839- 1919. Oxford,.
- Gankovsk y, y. v. (1985). A History of Afghanistan. Moscow.
- Gregorian, V. (1969). The Emergence of Modern Afghanistan 1880 – 1946. California.
- Hensman., H. (1881). The Afghan War 1879-80,. N.P.
- Kakar, M. H. (2006). A Political and Diplomatic History of Afghanistan, 1863–1901. Boston:.
- L.Lee, J. (2018). Afghanistan A History From 1200 to the Present. London.
- Runion, M. L. (2007). The History of Afghanistan. London.
- Stewart, J. (2011). On Afghanistsn Plains the Story of Britain s Afghan Wars. London.
- Wahab.S. (2007). A Brief History of Afghanistan. New York..

- الطالب, ا. ع. (2009). الغزو الاجنبي لافغانستان خلال الحروب الثلاثة الاخيرة. د.ت.
- العيلة, م. ح. (1986). اواسط اسيا الاسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني. الدوحة.
- حسون, ع. (د.ت). تاريخ افغانستان. دار الرؤية.

المصادر العربية

- A Fietchar. (1966). AFghanistan Highway of Conquest. New York.
- Arnold Fietchar. (1966). AFghanistan Highway of Conquest. New York.
- Coloner G. B Malleson. (1879). History of Afghanistan From the Earliest Period to the Outbreak of the War of 1878. London.
- Edger O. Balance. (1993). Afghan Wars 1839- 1992 what Britain Gave and the Soviet Union Lost. London.
- Gregory Fremont-Barnes. (2009). The Anglo-Afghan Wars 1839- 1919. Oxford,.
- Howard Hensman. (1881). The Afghan War 1879-80,. N.P.
- Jonathan L.Lee. (2018). Afghanistan A History From 1200 to the Present. London.
- Jules Stewart. (2011). On Afghanistsn Plains the Story of Britain s Afghan Wars. London.
- M. Hassan Kakar. (2006). A Political and Diplomatic History of Afghanistan, 1863–1901. Boston:.
- Merdith L. Runion. (2007). The History of Afghanistan. London.
- Thomas Barfield. (2010). Afghanistan Cultural and Political History.. New Jersey.
- Vartan Gregorian. (1969). The Emergence of Modern Afghanistan 1880 – 1946. California.
- W Fraser- Tytler. (1885). Afghanistan A Study of Political Develop ment and Southern Asia. Oxford.
- Wahab.S. (2007). A Brief History of Afghanistan. New York..
- y. v. and others Translated by: Vitaly Baskakov Gankovsk y. (1985). A History of Afghanistan. Moscow.
- ابراهيم عبد الطالب. (2009). الغزو الاجنبي لافغانستان خلال الحروب الثلاثة الاخيرة. د.ت.
- علي حسون. (د.ت). تاريخ افغانستان. دار الرؤية.
- محمد حسن العيلة. (1986). اواسط اسيا الاسلامية بين الانقضاض الروسي والحذر البريطاني. الدوحة.